الميول السياسية للشباب وغياب المشروع القومي

مختار شعيب

ثلاثةُ أجيالٍ من الشباب

تؤكّد الدولةُ عندنا صباحَ مساءَ أنّ الشباب هم أعزُّ ما تَمْلك، وأنّها تضع لهم في كلّ ساعة مئات الخطط والبرامج لتمنحهم كلَّ الفرص الممكنة. لكنّ نظرةً حولنا تَكْشف لنا أنّ الشباب المصري مقيَّدٌ بأغلال البطالة، والغلاء، والسلبية. ويَطْرح ذلك المشهدُ عدةَ تساؤلات، أوّلُها. هل حركةُ الشباب فاقدةٌ للانتماء حقّاً، أمْ أنّها تَحْتاج إلى هدف قوميّ عامٍّ يَجْمعها؟ وثانيها: ما هي المعوّقات التي تَحُول دون قيامهم بدورهم، وكيف يمكن التغلُّب عليها؟ لكنّ السؤال الأهمّ هو: ما هي طبيعة جيل الشباب في مصر، وكيف يمكن تصنيفُه سياسيّاً؟

ثمة ثلاثة أجيال من الشباب في مصر.

• **الجيل الأول** يضم مَنْ وُلدوا بين منتصف الستينيات ومنتصف السبعينيات تقريبًا، ويُطلق عليهم حاليّاً «جيلُ الشباب.» وأكثرُ شباب ذلك الجيل حظّاً يستطيع أن يتذكّر بعضَ المعلومات القليلة عن حرب أكتوبر، وكانت الواقعةُ الأساسيةُ التي شدّت انتباهَهم إلى السياسة هي اغتيالَ أنور السادات على منصّة احتفالات أكتوبر عام ١٩٨١ . أما مصر التي يعرفها ذلك الجيلُ جيِّدًا فهي مصرُ الثمانينيات في عهد الرئيس مبارك: بالتعدديةِ الحزبية المقيّدة، والتعدديةِ السياسية المنقوصة، وقانونِ الطوارئ الذي دام ربعَ قرن، والخصخصةِ، وحريةِ الصحافة المنقوصة، والعلاقاتِ التي عادت إلى مسارها مع الدول العربية، والحربِ على الإرهاب والتطرف الديني، ثم حربِ إيران ـ العراق (١٩٧٩ ـ ١٩٨٩)، فحربِ الخليج عندما دخل صدّام حسين الكويتَ غازيًا، ثم حرب «تحرير الكويت» (١٩٩٠ ـ ١٩٩١)، ونهايةِ الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي وأميركا، ومن بعدها زوال الأول وظهور القطبية الأحادية متمثّلة في أميركا، وبروز ظاهرة التكتُّلات الاقتصادية والعولمة. وأخيرًا، فإنّ هناك واقعةً أخرى هامةً هي شعورُ ذلك الجيل بالمساعي الرامية إلى السيطرة على المنطقة العربية ومحوِ الهوية. فضلاً عن الحرب الأميركية على العراق، وعلى أفغانستان، وجرائم جوانتانامو ومعتقل أبي غريب، واستمرار التنكيل الإسرائيلي الوحشي بالشعب الفلسطيني.

هذه هي الوقائعُ السياسيةُ الكبرى التي عاشها ذلك الجيلُ وانعكستْ على أوضاعه وعلى تركيبته الفكرية في ظلّ معاناته البطالةَ والفقرَ والعونسة. ولذلك فإنّ السمة الأساسية لهذا الجيل هي القلقُ بفعل ضغوط مطالب الحياة، وتفاوت الأوضاع الاجتماعية إلى الدرجة التي جعلتْ أبناءه ينقسمون إلى شرائح مختلفة: فمنها ما هو سلفيّ متطرّف، ومنها ما هو أصوليّ متشدّد، أو علمانيّ فجّ، أو اشتراكيّ غير فعّال، أو سلطويّ منغمس في الفساد، أو ليبراليّ يفتقد الشعبية، أو نخبويّ لا يغادر الغرفَ المكيّفة. لكنّ ذلك المشهدَ الاقتصادي ـ الفكري دفع الغالبيةَ العظمى من هذا الجيل إلى العزوف عن المشاركة في العمل العامّ أو الحياة السياسية، وإلى فقدان الأمل في أيّ إصلاح جادّ. وهذا ما أكّدتْه نِسَبُ المشاركة في الانتخابات التي شهدتها مصرُ عامَ ٢٠٠٥.

هذا الجيل، بأوضاعه المشار إليها، يشكّل نحو ١٧ مليون نسمة من تعداد سكان مصر، أيْ ربع عدد السكّان تقريبًا. وهو الربع الذي يمثّل قوةَ العمل الأساسيةَ في مصر، ومستقبلَ البلاد في عصر العولمة وثورة الاتصالات والمعلومات.

• **الجيل الثاني** من الشباب هم الذين وُلدوا ما بين منتصف السبعينيات ومنتصف الثمانينيات، ويُطلق عليهم جيلُ الانترنت والعولمة. وأكبرُ أبناء هذا الجيل لا يَذْكر شيئًا عن الرئيس السادات وعصره، إلا ما يُشْبه أضغاثَ أحلام. وقد عاش ذلك الجيلُ وترعرع على ثقافة التعددية السياسية المقيَّدة، والقبولِ النسبي لرأي المعارضة ـ مع وجوده في ظل الضغوط الاقتصادية المتعددة التي رافقت الإصلاحَ السياسي، وفي مقدّمتها: تدنّي مستوى المعيشة وتفاقُمُ مشكلة البطالة. وقد تخرّجتْ غالبيةُ أبناء ذلك الجيل من الجامعات والمدارس المتوسّطة حديثًا، ويَطْرقون الآن أبوابَ الحياة العملية. معظمُهم

٨ ٪ فقط من الشباب المصري مسيَّسون، والباقون يخشون المشاركة في المجال السياسي!

يَحْلم بالهجرة، أو بتوفّر فرص عمل، أو بالمشاركة في الشأن العامّ على غرار ما يروْنه في شباب الشعوب الأخرى عبر الفضائيات وغيرها، لكنّ ظروفهم القاسية والخوف من ممارسة السياسة تُقْعدهم عن ذلك. ويَبْلغ تعدادُ أبناء ذلك الجيل ١٨ مليون نسمة، أيْ ربعَ عدد السكّان مرةً أخرى. ويعاني بشدةٍ غير مسبوقةٍ المشكلاتِ المتعلقةَ بأوضاع حياته في المستقبل، وحياته العملية، والأسئلة الملحّة عن طبيعة هويته وانتمائه. كما يعاني آثارَ عمليات التغريب والعولمة. ومن ثم فإنّه، في معظمه، يقف موقفَ التشتت الثقافي والفكري والسياسي.

• **الجيل الثالث** من شباب مصر هم الذين وُلدوا ما بين منتصف الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات (تتراوح أعمارُهم ما بين ١١ سنة و٢١ سنة)، وأغلبُهم صبْيةٌ مقْبلون على مُرحلة الشباب، وبعضُهم شباب، ومازال وعيُهم في مرحلة التشكّل. غالبيتُهم في مراحل التعليم المختلفة، لكنّ بعضهم يعاني الأميةَ و١٠٪ يتسرّبون من التعليم، ويعانون أيضًا مشكلاتِ عمالة الصغار. وهم يمثّلون نحو ١٢ مليون نسمة أو أكثرَ قليلاً.

توضّح الأرقامُ أنّ هناك ٤٧ مليون نسمة في مصر يقعون في الفئات العمرية الأقل من ٤٠ عامًا نزولاً حتى ١٠ سنوات، أيْ أنّ حوالى ثلثَي الشعب المصري تقريبًا يُعدّ في فئة الشباب. وتواجِهُ أجيالُ الشباب صعابًا جمّةً، جَعَلتْ أكثرَ من ٧٥٪ منهم يَعْزفون عن المشاركة في العمل العامّ بكل صوره ـ بما فيها المشاركة السياسية. وتقوم الأميةُ بدورٍ في نشر ذلك العزوف، إذ يعاني ٢٧ ٪ من شباب مصر أميةَ القراءة والكتابة، كما تصل نسبةُ البطالة بينهم وفق بعض التقديرات إلى ١٥ ٪ من قوة العمل. فضلاً عن صعوبات أخرى مثل صعوبة توفير المسكن، والغلاء، وانعدام فرص العمل، وارتفاع تكاليف الزواج التي أدت إلى وجود أكثر من ٩ ملايين شاب وشابة تجاوزوا سنَّ الزواج ويعيشون حالةَ عونسة وفق أرقام مركز التعبئة العامة والإحصاء في مصر.

الشباب المصري... ثقافيّاً وسياسيّاً

من هم أولئك الشباب؟ وكيف يُمْكن تصنيفُهم سياسيّاً؟

وفقًا للبيانات المتاحة، فإنّ ٨ ٪ فقط من الشباب المصري أعضاء في أحزاب وقوى سياسية وجمعيات أهلية ونقابات، وهؤلاء هم النشيطون سياسيّاً. بينما سنجد أن نسبة ٩٢٪ من الشباب يخشى المشاركةَ في المجال السياسي. وهناك أكثر من ٤٧٪ من الشباب مقيَّدون في الجداول الانتخابية، بينما يوجد أكثرُ من ٥٢٪ غير مقيَّدين أصلاً. هناك أكثر من ٣٨٪ من الشباب لا يعرفون كيف يقيِّدون أنفسَهم في تلك الجداول أصلاً، و٤٢٪ صوّتوا ولو مرةً واحدةً في بعض الانتخابات، وهناك ٥٨٪ لا يتوجهون إلى صناديق الاقتراع مطلقًا ويَعْتبرون أنّ أصواتهم عديمةُ القيمة والتأثير. هناك أيضًا ٩٥٪ لا ينتمون إلى جمعية أهلية أو منتدى أو حتى مركز شبابي أو نقابة، ولا يَعْرف ٨٠٪ معنى «حزب سياسي» أو «جمعية،» و٦٥٪ لا يرون أيةَ جدوى من المشاركة في أيّ عمل سياسي. هناك ٨٪ فقط تعتبر أنّ المشاركة السياسية واجب وطني، وفي المقابل هناك ٢٧ ٪ ليس لهم رأيٌ محدد إزاء أهمية تلك المشاركة. وسنجد أنّ هناك أكثرَ من ٢٨٪ لديهم بطاقات انتخابية، بينما يوجد أكثر من ٧١٪ ليست لديهم بطاقاتٌ انتخابيةٌ من الأساس. وهناك أكثر من ٣٨٪ يقرأون الصحف، في مقابل أكثر من ٦٠٪ لا يقرأون أيّة صحيفة.

وهكذا يمكن تصنيفُ الشباب من حيث الثقافة السياسية إلى:

١) فريق ضخم عديم الثقافة السياسية، ويشكّل نحو ثلثيْ تعداد شباب مصر حاليّاً، أيْ ما يوازي نحو ٣٠ مليون نسمة.

٢) فريق آخر تتوفر لديه ثقافةٌ سياسيةٌ محدودةٌ، أو ضعيفةٌ، أو مشوّشةٌ. ويشكّل هؤلاء نحو ١٠ ملايين شاب.

٣) فريق ثالث ذي ثقافة ووعي سياسي متميزيْن. ويشكّل هؤلاء نحو ٦ ملايين.

أما من حيث المشاركة السياسية، فيُمكن تصنيفُ الشباب المصري إلى عدة فئات

الميول السياسية للشباب وغياب المشروع القومي

١) الفئة الأضخم (٩٢٪): وهي التي لا تمارس السياسة. بعضُهم يرفضها كنوع من الاحتجاج والرفض للواقع القائم، وبعضُهم يرى أنّ العمل السياسي لا يَجْلب سوى الضرر. ومن بين أبناء تلك الكتلة مَنْ تُمْكن تسميتُهم بمجموعة «الأميّة السياسية» التي لا يتوفّر لديها أيُّ وعي يحرّك شبابَها ويحفّزهم، ويمثّلون ٥٢ ٪ من تلك الكتلة الكبيرة الصامتة. وهناك عواملُ أخرى تشكّل موقفَ تلك الفئة السلبي، منها ضعفُ الأحزاب السياسية، والقيودُ القانونية التي تحظر ممارسةَ السياسة في الجامعات والأماكن العامة، وضعفُ قنوات الاتصال بين الشباب، وغيابُ هدفٍ موحّدٍ مُلْهِم.

٢) الفئة الثانية (٨ ٪): وهي التي تشارك بفاعلية في العمل العامّ من خلال القنوات السياسية المتاحة. ويتوزّعون على «الحزب الوطني» الرسمي، أو التيار الإسلامي، أو حزب الوفد، أو «التجمُّع،» وغير ذلك. وينتمي ١٣٪ من أصل تلك الفئة إلى التيارات السياسية الشرعية على النحو التالي: ١/ فقط ينتمي إلى التيار اليساري، ٢/ إلى حزب الوفد، ٣٪ إلى التيار الناصري والقومي، و ٧/ إلى الحزب الوطني الحكومي. بينما ينتمي ١٢/ إلى تيارات وحركات محظورة أبرزُها الإخوان المسلمون، والجماعات الإسلامية كالجهاد، والتكفير والهجرة، أو التيار الإسلامي المتطرف.

أما من حيث تأييد الشباب لهذا الخطاب السياسي أو ذاك، فسوف نلاحظ:

- أنّ ٥٥ / من الشباب يؤيّدون الخطابَ السياسي لتحالف حزب الوفد والحزب الناصري وحزب التجمع، رغم أنّ عضوية الشباب في أحزاب المعارضة لا تزيد وفق استطلاعات الرأي العام عن ٦٪ من مجمل الشباب المستطلعة آراؤهم.

- ومن ناحية أخرى فإنّ هناك ٢٨/ من الشباب المستطلعة آراؤهم يؤيّدون الخطابَ السياسي لجماعة الإخوان المسلمين وشعار «الإسلام هو الحلّ،» إلا أنّ حجم عضوية أولئك الشباب في جماعة الإخوان لا يتجاوز ١١/.

- على الرغم من تأييد ١٥٪ من الشباب المستطلعة آراؤهم لخطّ الحزب الوطني الحكومي، إلاّ أنّ حجم عضويّتهم في ذلك الحزب لم يتجاوز ٧٪. ويعود ذلك بشكل عام إلى عزوف ٧٥/ من الشباب عن العمل السياسي من الأساس، وإلى تقديرهم أنّ كلّ التيارات السياسية الموجودة غير قادرة على التعبير عمّا يريدونه أو يتصوّرونه لمصر. كما أنّ تلك التيارات والأحزاب تفتقر إلى المصداقية أو الفاعلية أو الأمريْن معًا.

غياب المشروع القومي

الملاحَظ أنّ لعزوف معظم الشباب عن العمل السياسي سببًا آخر، هو أنّ ما يُطرح على الساحة من مختلف أشكال الخطاب السياسي لا يَنْطوي على مشروع وطني، قومي، يُمْكن أن يَحْشد الشبابَ من حوله. ولذلك، لم يكن مستغربًا أن يَبْرز ذلك الحنينُ إلى مشروع عامّ، مشترك، عبر ظواهر أخرى، جانبية، مثل احتشاد الشباب بشكلٍ غيرِ مسبوق في استاد القاهرة الرياضي خلال بطولة الأمم الأفريقية خلف الفريق المصري، أملاً في فوزه. إنّ تلك الحرارة وذلك الحماس اللذيْن التفّ بهما الشبابُ حول ظاهرة فوز فريق كرة القدم قد حَطّما الفكرةَ السائدةَ القائلة بأنّ الشباب في مصر فاقدون للانتماء، ويتّسمون بالسلبية. والأرجح أنّ الشباب وَجَدوا في كرة القدم، وفي احتمال فوز فريقهم، وفي فوزه بالفعل ببطولة كأس الأمم الأفريقية، مشروعًا مشتركًا لا يَقْبل القسمةَ، حتى وإنْ كان مجردَ مشروعٍ معنوي. بينما لا تقدِّم المشاريعُ السياسيةُ المطروحة ملامحَ مشروعٍ إصلاحي أو قومي أو تنموي ضخم. ويُظْهر ذلك بوضوح ضرورةً بناء مشروع قومي مصري للنهضة والتحديث والإصلاح قادرٍ على تحفيز الشباب للمشاركة السياسية

مختار شعيب

كاتب صحفي في جريدة **الأهرام**. له عديد من المقالات والدراسات حول أوضاع الشباب في مصر.